الجاسوس الخارق

محمود سالم

الجاسوس الخارق

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الجاسوس الخارق

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ١ ٢٤٦٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
بالشفرة إلى جميع الشياطين!	١١
خطة ما ... تنجح أو لا تنجح	١٧
العملية المزدوجة	٢٣
سرقة الرجل المهم	٢٩
عندما تكون النتيجة ١٠٠٪	٣٥
صراع الصخور والرجال	٤١
في الوقت المناسب	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

بالشفرة إلى جميع الشياطين!

لثلاثة أسابيع متَّصلةٍ كان كل واحدٍ من الشياطين الـ «١٣» في منطقة عمله ... «أحمد» في القاهرة. «فهد» في دمشق، «ريما» في الأردن، «إلهام» في لبنان، «رشيد» في العراق، إلى آخره.

كانت معلومات رقم «صفر» في هذه الأسابيع أن ثمة شيئًا غيرَ عاديٍّ يحدث في الوطن العربي، شيء أزعج الحكومات، والأجهزة العاملة في الأمن. فقد ثبت أن دولةً معاديةً تتجسَّس عليها بوسيلةٍ خفيةٍ، وتحصل على أدقِّ المعلومات والأسرار بطريقةٍ لا يمكن كشفها.

وهكذا طلب رقم «صفر» من الشياطين الـ «١٣» مغادرة المقر السرِّي، والانتشار كلٌّ في مكان للبحث عن خيط، أيِّ خيطٍ، أو بارقة ضوءٍ يمكن أن تكشف الستار عن هذا الجاسوس الخارق الذي يعرف كل شيء.

ورغم الجهود المُضنِية طَوال الأسابيع الثلاثة الماضية، لم يستطع واحد من الشياطين أن يحصل على أية معلومات تكشف السر الغامض!

وفجأة ... خرجت من المقر السرِّي برقيات بالشفرة تطلب من الشياطين جميعًا التوجُّه إلى المقر السري، وكان «فهد» في دمشق، وعندما تلقَّى البرقية، أمسك بسماعة التليفون يطلب حجز تذكرةٍ له إلى القاهرة، ومن هناك كان يُمكنه أن يركب مرةً أخرى إلى المقر السري.

كانت البرقية أمامه على الطاولة يقرؤها مرارًا وتَكرارًا كأنها التصقت بعينيه بعد أن فكَّ رموزها.

من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»

«يُرجَى الوصولُ إلى المقر الرئيسي في أقرب وقت.»

ظل «فهد» يُوالي الاتصال بالشركات، ولكن لم يكن من الممكن حجزُ تذكرة في هذا اليوم على الإطلاق، وفكَّر «فهد» ثم طلب الاتصال بِعمَّان عاصمة الأردن، وطلب رقم «ريما». وبعد ساعة كانت «ريما» تتحدث ... قال:

فهد: هل وصلتكِ الأخبار؟

ريما: نعم.

فهد: ليست هناك تذاكر من دمشق إلى القاهرة ... ماذا فعلت أنت؟

ريما: حجزت تذكرةً على طائرةٍ ستتحرك بعد ثلاث ساعات.

فهد: هل يمكن أن تجدي مكانًا لي، ففي استطاعتي الوصول إليك في موعدٍ مناسبٍ.

ريما: سأحاول وأتصل بك بعد قليل.

في هذه اللحظة خُيِّل لـ «فهد» أن هناك من يتنصَّت عليهما، فوضع السماعة دون كلمة أخرى، ثم جلس على طرف فراشه يفكر، ولكنه لم يُطِل التفكير، فقد كان عليه أن يُعدَّ حقيبته.

قفز من فراشه سريعًا، وأخذ يُغيِّر ملابسه، وبعد دقائق كان مُستعدًّا، وفي نفس اللحظة دقَّ جرس التليفون، وقالت «ريما»: تم حجز ...

قاطعها «فهد»: نعم، إنني أفهم، وسأكون هناك في الموعد ...

ووضع السماعة دون كلمةٍ واحدةٍ، ثم قفز خارجًا، وأغلق أبواب المقر الصغير الذي يُقيم فيه بدمشق. وبعد لحظاتٍ كان يقفز في سيارة من طراز «لامبورجيني» ذات ٨ سلندرات، وانطلق بسيارته على طريق دمشق ... عمَّان ...

كان الطريق خاليًا إلا من سيارات قليلةٍ، ورغم أن الإشارة الشفرية التي تلقَّاها اليوم كانت تشغل باله إلا أن ما كان يشغل باله أكثر هو هذا الإحساس بأن ثمة من كان يتجسَّس على المكالمة التليفونية ... تُرى من هو؟

إن أحدًا لا يعرف حقيقته إلا شخصًا واحدًا، هو مساعدٌ دائمٌ لرقم «صفر»، مقره دمشق. فهل تكون هناك خيانة؟ هل يمكن أن يكون مساعد رقم «صفر» الذي يلجأ إليه «فهد»، في بعض المشاكل، هو الذي وشى به؟

لم يصدق نفسه وحاول طرد هذا الخاطر المحزن من نفسه. صحيح أن خيانة مساعد دمشق لا تعني انهيار منظمة الشياطين كلها، ولكنها ستكشف مقره السري في دمشق، ويتعيَّن عليه لذلك أن يُغيره وأن يزيل الأجهزة الحساسة التي به.

مضت ساعة وهو منطلقٌ بسرعة تتراوح بين ١٠٠ و١٥٠ كيلومترًا في الساعة ... وشعر بالارتياح عندما بدت مدينة عمَّان، ذات التلال السبعة من بعيدٍ، واتجه دون وعيٍ في

الشوارع الموصلة إلى مقر «ريما» ولكنه عندما تذكَّر رِيبتَه في تنصُّت شخصٍ ما على المكالمة التليفونية بينها وبينه، غيَّر طريقه على الفور، واتجه إلى المطار، وركن سيارته في مكانٍ بعيد ثم ذهب إلى «الكافيتريا» ...

لم يمر وقتٌ طويلٌ حتى ظهرت «ريما» على باب «كافيتريا» المطار، لم ينظر إليها، غير أنها أقبلت نحوه فنظر إليها محذِّرًا ... ولكن لم يجد بُدًّا من أن يقف ليستقبلها، وتصافحا بحرارة، فقدَّمت له تذكرة السفر، ثم أخذا طريقهما إلى الطائرة.

وفي نفس الموعد الذي انطلق فيه «فهد» إلى عمَّان كان كل واحد من الزملاء الشياطين يأخذ اتجاهه الي مقرِّه الرئيسي بطريقته، وعندما كانت الساعة تدقُّ الحاديةَ عشرةَ صباحًا، كانت سيارات الشياطين في طريقها إلى الكهف السري ... وعندما دقَّت الساعة الثانية عشرة، كان الباب الصخري يفتح دون صوتٍ، وتمرق السيارات من خلاله إلى الداخل. وعندما أصبح كلُّ الشياطين داخل الكهف أُغلق الباب، وأصبح قطعة من الجبل.

كان كل واحد من الشياطين يقف في ممرٍّ خاصٍ، مفصول عن الممرات الأخرى، وكانت هذه أول مرة يُطبَّق فيها هذا النظام. ولذلك لم يلتقِ الشياطينُ أولَ الأمر ... وعندما أصبح كل واحد منهم خارج سيارته، أُضيئت أسهم تحدد اتجاه السير.

تتبَّع الشياطين الأسهم المضاءة، والتقوا جميعًا داخل القاعة الزرقاء. كانت هذه أول مرة يُعقد فيها اجتماع داخل هذه القاعة. نظروا بعضُهم لبعض بسرعةٍ، ثم بدءوا يتبادلون التحيَّات بحرارة.

كانت القاعة غارقةً في ضوءٍ قويٍّ، يجعلها كمحيط عميق وعندما أخذ الشياطين أماكنهم في القاعة، عرفوا أنهم مُقبلون على مهمةٍ خطيرة؛ فالقاعة الزرقاء مُخصصة لهذا النوع من المسائل؛ ولذلك فهي مجهَّزة بحيث لا يخرج صوت ولا حتى صوت تنفسهم. إنها إجراءات أمن مشددة حتى داخل المقر السري المعزول عن العالم.

جلس الشياطين صامتين، في انتظار حديث رقم «صفر» كانوا جميعًا متلهِّفين إلى سماع أي شيءٍ عن مهمتهم الجديدة الخطيرة، ولم تمضِ لحظةٌ حتى بدأت الإضاءة تخفت حتى أصبحت القاعة غارقة فيما يشبه الظلام ... ولم تمضِ لحظة أخرى حتى جاءهم صوت رقم «صفر» قائلًا: أهلًا بكم ... إنني أعرف دهشتكم لاجتماعنا اليوم في القاعة الزرقاء! لا بأس ... إننا أمام مهمةٍ خطيرةٍ أكثر من كل المهام التي قابلتنا، إننا أمام خطر يُهدد منطقتنا كلها من الخليج إلى المحيط.

صمت رقم «صفر» قليلًا ... وبدأ الشياطين يفكرون في هذا الخطر الجديد ... هل هو شيء آخر غير ما كانوا يبحثون عنه؟!

تحدث رقم «صفر» مرة أخرى فقال: حتى يكون الأمر أكثر وضوحًا أمامكم، فلتنظروا إلى هذه الخريطة ...

انشقَّ جدارٌ أمامهم وظهرت خريطة مضيئةٌ للوطن العربي، جرت أعين الشياطين فوق الخريطة، وكأنها تبحث عن شيءٍ، وقال رقم «صفر»: إن السهم الذي يجري على الخريطة يُبيِّن لنا حدود عملنا.

كان هناك سهمٌ أصفر يجري فوق الخريطة السوداء، مبينًا ما يريده رقم «صفر»، قال: كما ترَوْن، إن منطقتنا كلها مهدَّدة. وهذا السهم، موجه من خارج الكهف السري، إنه يجري حسب ذبذبات شيءٍ خارجيٍّ يدور في الفضاء، وهذا الشيء لا نعرف ما هو حتى الآن. هل هو مركب فضائي، أو قمر صناعي، أو صاروخ يدور دورةً كاملةً حول الأرض العربية؟

كان السهم لا يزال يدور. ولم يتوقف مرة فوق إحدى الدول العربية، وكان يدور بسرعة منتظمةٍ.

قال رقم «صفر»: كما ترون، هناك جسمٌ غريبٌ يلف فوق المنطقة، وقد جاءتنا معلوماتٌ تُفيد أن كل المكالمات التليفونية بين بلاد المنطقة معروفة للأعداء، سواء تلك التي تدور داخل الدولة الواحدة، أو بين الدول وبعضها. وهذا يعني، أن الأسرار السياسية والعسكرية والاقتصادية يكشفها العدو أولًا بأولٍ.

نظر «فهد» إلى «ريما»، فقال رقم «صفر» بسرعة: ماذا هناك يا رقم «٨»؟

قال «فهد»: لقد تحدثت إلى «ريما»، في التليفون بين دمشق» وعمَّان.

صمت رقم «صفر» قليلًا بينما نظر «أحمد» إلى «إلهام».

فسأل رقم «صفر»: ماذا يا رقم «١» هل هناك شيءٌ؟

أجاب: أحمد، لا ...

قال رقم «صفر»: وماذا قلت يا رقم «٨»؟

قال «فهد»: يبدو أننا أخطأنا أو على الأقل أنني الذي أخطأت.

سأل رقم «صفر»: ماذا قُلتما بالتحديد؟

أجاب «فهد» لقد سألتها إن كانت الأنباء قد وصلتها.

قال رقم «صفر»: هل ذكرت شيئًا عن هذه الأنباء؟

أجاب «فهد»: لا. قلتُ لها فقط إنني لا أجد طائرةً، وقالت إنها ستجد لي مكانًا على نفس طائرتها.

صمت رقم «صفر» قليلًا، ثم قال: هذا يجعلكم في حاجةٍ إلى سرعة أكثر في تنفيذ مهمتكم، فالإشارة التي أرسلناها لكم، بطريقة الشفرة الخاصة بنا ... لا يستطيع أحد أن يفكَّ رموزها ولا يهمنا أن يلتقطوها، لكن حديثكم قد يجعلهم يربطون بين حديثكم والإشارة، المهم الآن هو سرعة تنفيذ المهمة.

وبعد لحظة صمتٍ قصيرة، قال رقم «صفر»: إن هذا الجسم الغريب الذي يلفُّ فوق المنطقة، من الضروري أن تزوِّده محطة توجيه أرضية. وهذه المحطة لا بد أن تكون في المنطقة العربية ذاتها. ولأن المنطقة متسعةٌ كما ترون، فسوف نُقسِّمها إلى أربع مناطق، كل مجموعة تعمل في منطقة.

كان السهم لا يزال يدور حول الخريطة، ثم خرجت خطوطٌ متقاطعة، تقسِّم الوطن العربي إلى أربع مناطق، أخذت كل منطقة لونًا. قال رقم «صفر»: الآن نقسم العمل حسب هذه المناطق وحسب وقوعها في بلد كل رقم. المنطقة «أ» ويعمل فيها «١» و«٢» و«٣» و«٨»، المنطقة «ب» ويعمل فيها «٤» و«٥» و«٦» و«٧»، المنطقة «ج» ويعمل فيها «١٠» و«١١»، المنطقة «د» يعمل فيها «٩» و«١٢» و«١٣».

أُطفئت الخريطة، وانضمَّ الجدار، غير أن لمبة حمراء أُضيئت في الزاوية اليمنى في سقف القاعة، فعرف الشياطين أن رقم «صفر» يتلقَّى معلومات جديدة ظل الشياطين صامتين، كانوا يفكرون في تلك المحطة الأرضية الموجودة في مكان سريٍّ على الأرض العربية. مضت دقائق، لم ينطق فيها أيهم بكلمة، ثم جاء صوت رقم «صفر»: الآن جاءتنا معلومات ترجِّح وجود المحطة السرية في منطقتين بالذات «ب» و«ج».

بدأت الأضواء تزداد شيئًا فشيئًا. حتى غرقت القاعة في الضوء. جاء صوت رقم «صفر» يقول: هل يريد أحدكم أن يسأل عن شيءٍ؟!

لم ينطق أحد الشياطين بسؤال ... انتظر رقم «صفر» قليلًا، ثم قال: هذا حسنٌ، غير أني أريد أن أُنبِّه إلى شيءٍ هامٍّ، من الضروري عدم استخدام التليفونات. إنهم سيلتقطونها كما تعرفون، والشفرة التي نستخدمها سنغيِّرها حتى لا يصلوا إلى شيءٍ. وعندما تخرجون من القاعة، سوف يأخذ كل منكم شفرتنا الجديدة. وعليه بعد أن يقرأها جيدًا، أن يقوم بحرقها، وحتى ننتهيَ من مهمتنا قد نحتاج إلى تغيير شفرتنا بين فترة وأخرى وسوف نُرسلها لكم تباعًا. والآن ... إلى اللقاء.

وعندما غادروا أماكنهم، شعر كل منهم كأنَّ أحدًا يأخذه إلى طريق، وفي لحظات، كان كل منهم يمشي في طريق وحده، ثم ظهرت الأسهم المُضيئة تُرشد كلًّا منهم إلى طريقه. وعندما وصلوا إلى سياراتهم، فُتح باب واحد، انطلقوا منه جميعًا ... كان يبدو أمامهم الفضاء قاتمًا، وكأنه الليل ... وعندما أرادوا استخدام مصابيح السيارات لم تُضئْ ... غير أن السيارات كانت تأخذ طريقها المرسوم وما إن أُغلق الباب خلفهم حتى انتهى الظلام، وبدا كل شيء به واضحًا، فقد كانوا في وَضَح النهار.

انطلقت السيارات في سرعة البرق، وبدأت مهمة الشياطين الـ «١٣» بعد أقصر اجتماع وأخطر اجتماع في نفس الوقت.

خطة ما ... تنجح أو لا تنجح

بعد ساعاتٍ من هذا الاجتماع السريع الهام، كانت الشياطين الـ «١٣» في المقر السري الفرعي بالقاهرة، لم يكن هذا المقر الذي يقع قرب ميدان السد العالي في حي الدقي الهادئ، مثل المقر السري الرئيسي في الصحراء ...

ولكن كان به ما يكفي من التجهيزات التي يحتاجها الشياطين في معاركهم، ثم جلسوا جميعًا أمام خريطةٍ مبسطةٍ، وقال «أحمد»: حسب الاتفاق المعروف فإن تقسيم العالم العربي إلى مناطق يتمُّ كالآتي:

أولًا: المنطقة «أ»، وتضمُّ الساحل الأفريقي الشمالي حيث المغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا.

ثانيًا: المنطقة «ب»، وتضمُّ مصر، والسودان، والصومال.

ثالثًا: المنطقة «ج»، وتضم، العراق، وسوريا، ولُبنان، والأردن، وفِلَسطين.

رابعًا: المنطقة «د»، وتضمُّ الجزيرة العربية، والخليج العربي حتى اليمن وعدن.

وسكت «أحمد» لحظات ثم قال: وبالطبع فكل منطقة سيعمل فيها مجموعة من الشياطين يكون فيهم من ينتمون إلى دول تلك المنطقة، وما دامت المهمة محصورةً في المنطقتين «ب» و«ج» فمعنى هذا أن المجموعة الأولى ستكون «منى» و«عثمان» أساسًا، وتضم بعض الشياطين. والمجموعة الثانية الخاصة بالمنطقة «ج» سيكون فيها «رشيد»، و«فهد» و«إلهام»، و«ريما»، و«باسم».

من الذي سيأتي معي أنا و«عثمان»؟

ردَّت «زبيدة»: أنا و«مصباح».

أحمد: هذا يكفي، على أن تبقى «هدى»، و«قيس»، احتياطيًّا لنا في القاهرة.

فهد: سيكون مقر مجموعتنا دمشق طبعًا.

أحمد: بالطبع ... وسيكون مقرُّنا نحن القاهرة.

وصمت «أحمد» قليلًا ثم قال: سأتصل بمساعد رقم «صفر»، ليُعدَّ لكم جميعًا تذاكر السفر إلى دمشق. وسأضع مع «عثمان» و«زبيدة» و«مصباح» خُطةَ تحرُّكنا في السودان ومصر، وسنتصل شفريًّا بالمركز الفرعي في القاهرة؛ لتبادل المعلومات مع المجموعة «ج».

وقضى الشياطين تلك الليلة في القاهرة. وفي صباح اليوم التالي، كانت مجموعة «فهد» ومن معه تغادر القاهرة إلى دمشق، ومجموعة «أحمد» ومن معه تغادر القاهرة في سيارة «لاندروفر» ... وكانت خطة «أحمد» في مسح المنطقة «المصرية-السودانية» قائمةً على افتراضٍ واضحٍ، أن وجود القاعدة السرية لا بد أن يكون في مكانٍ بعيد عن المدن، وفي الأغلب على الحدود «المصرية-السودانية» خاصة قرب «البحر الأحمر».

أما في السودان، فيمكن أن تكون في الأحراش الكثيفة حول النيل، أو في الجنوب حيث الغابات الكثيفة، وفي جميع الأحوال فإنها مهمةٌ شاقَّة.

على أن «أحمد»، فكر في كل هذه الاحتمالات، فقد أعدَّ «اللاندروفر» بجميع التجهيزات، أجهزة لاسلكي ... بنادق لصيد الحيوانات الوحشية ... مسدسات ... أدوية؛ كانت السيارة عبارة عن قاعدةٍ صغيرة متحركة!

وسارت «اللاندروفر» بسرعة متوسطة على طريق القاهرة-السويس وبعد نحو ساعة كانت تقترب من أرض النصر، حيث دارت معارك ٦ أكتوبر المجيدة غربيَّ القناة، وحيث اجتاحت القوات المسلحة المصرية خطَّ بارليف، وحققت أعظمَ انتصارٍ عسكري على قوات العدو.

وكلما اقتربت «اللاندروفر»، من الميدان، أحسَّت المجموعة «أحمد» و«عثمان»، و«مصباح» و«زبيدة» أن المهمة المُلقاة على عاتقهم مهمةٌ قومية وطنية بالدرجة الأولى.

وسرعان ما كانوا في السويس، وتناولوا وجبةَ غداءٍ شهيةً من السمك الطازَج في مطعم «بلير»، ثم انطلقوا جنوبًا على شاطئ البحر الأحمر، فلما وصلوا إلى نقطة يمكن التوقف عندها أقاموا خيمةً، ثم تركوا «مصباح» و«زبيدة» للمراقبة وانطلق «أحمد» و«عثمان»، إلى مناجم الفوسفات. وهناك قاما بإجراء بحثٍ عن طريق العاملين في المناجم عمَّا إذا كان يظهر في هذه المنطقة بعض السياح مثلًا، ولم يُسفر البحث عن شيءٍ ...

انتهى النهار في التجول داخل الصحراء الممتدة، بعد أن صحِبا معهما دليلًا يعرف مَجاهِلَ الصحراء.

انتهى النهار، بلا نتيجةٍ، سوى أنه لا يوجد شيءٌ. وفي المساء دعاهما الدليل إلى قضاء الليل في ضيافته.

كان الرجل من قبيلةٍ عربية معروفة، وعندما استقرَّا في البيت المبني من الحجر الأبيض، دقَّ الباب، وعندما فتح الدليل عرف أن شيخ القبيلة يدعو الضيفين إلى السهرة معه.

لبَّى «أحمد» و«عثمان»، الدعوة. وعندما التقيا بشيخ القبيلة، رحَّب بهما، وسهِرا سهرةً لا تُنسى، فقد قدَّم لهما الشيخ مجموعةً من المغنين الشعبيين، ثم انطلقا عائدين إلى حيث أقيمت الخيمة.

ولكن فجأة صرخ «عثمان»: انظر ... ما هذا؟

نظر «أحمد»، في اتجاه إشارة «عثمان»، كان هناك في ضوء القمر بناء بعيد، لا يظهر كله. وكان هناك «إيريال» هوائي، توقف «أحمد»، قليلًا ثم قال: لعله مقر إحدى البعثات الاستكشافية للبحث عن البترول، فهي تعمل في هذه المناطق. قال «عثمان»: لا أظن. ولماذا يختفي البناء كله؟ ربما تكون هذه مقدمة للقاعدة.

سارا في اتجاه المبنى لم يكن الطريق مرصوفًا وعندما توقفا بجوار المبنى خرج أحد الأجانب ... قال له «أحمد»: تحياتي!

أجاب الرجل: أهلًا بكما، تفضَّلا!

سأله «أحمد»: هل هذه منطقة بحث؟

أجاب الرجل: نعم ... تفضلا.

فجأة ظهر أحد المصريين، ورحَّب بهما باللهجة المصرية، فعَرَف «أحمد» أن الأجنبي كان صادقًا، شكرهما «أحمد» وعاودا السير.

قال «أحمد» ضاحكًا: هل رأيت أيها العزيز «عثمان»! إن المحطة السرية لا بد أن تكون في منطقةٍ مجهولة يا صديقي ... ومن الضروري أن تكون مختفيةً تمامًا. وأظن بعد بحثنا فقد تبين أنها موجودةٌ في مصر، إذ إن إمكانية الاختفاء هنا قليلة، هذا فضلًا عن أن هناك عمليات مسح جيولوجية هذه الأيام، تغطِّي مساحات «مصر» كلها، بحثًا عن البترول أو المعادن.

هزَّ «عثمان» رأسه موافقًا ... وسارا حتى وصلا الخيمة، ووجدا «زبيدة» قائمةً داخل الخيمة، و«مصباح»، يقوم بالمراقبة، رويا له كلَّ شيءٍ ثم نام الجميع، وفي الصباح انطلقوا في طريقهم جنوبًا، ولكن ... حتى حدود السودان لم يظهر شيءٌ، ثم عَرَفوا أن «إلهام» وصلت تحمل رسالةً هامة من المجموعة «ج» وسرعان ما عادوا مسرعين إلى القاهرة ... ووجدوا «إلهام» في انتظارهم، وتوقَّف «أحمد» أمامها مندهشًا ... وقال «عثمان» بسرعة: «إلهام»! إنني لا أصدق!

قالت: إلهام، ولماذا لا تصدق؟

سألها «أحمد»: هل حدث شيءٌ لـ «فهد»؟

ضحكت «إلهام»، وصمتت لحظة ... ثم قالت: هل تحْزِران لماذا أتيت؟

ظل «أحمد» و«عثمان» يفكران لحظة ثم قال «عثمان»: أظن أنكما وضعتما أيديَكما على شيء؟

ابتسمت «إلهام»، وقالت: وأنت يا «أحمد»، ماذا تظن؟

فكر «أحمد» قليلًا ثم قال: أظن أنني أوافق «عثمان» فيما قال.

قالت «إلهام»: هذا صحيحٌ، لقد أمسكنا بأول الخيط ... هيَّا ولا تضيعا وقتًا ... إن المسألة تحتاج إلى السرعة!

هتف «أحمد» بفرح: بهذه السرعة؟! هيا احكي لنا ما حدث.

قالت «إلهام»: أظن أنه ينبغي أن نطير إلى هناك أولًا ثم تعرفان كل شيء.

حاول «عثمان» استجواب «إلهام»، إلا أنها أشارت له أن يصمت، فهي لن تقول شيئًا. حتى يصلوا إلى هناك. أخذ «أحمد» و«عثمان» يجمعان أشياءهما، ثم نزل الثلاثة بسرعة إلى المطار، بعد أن قرَّروا ترك «زبيدة» و«مصباح» في القاهرة.

عندما هبطت الطائرة في مطار دمشق، كان «فهد» في انتظارهم، تعانق الأصدقاء ثم ركبوا سيارة «فهد»، وانطلقوا إلى دمشق.

كان الطريق طويلًا، وكانت حقول التفاح واللوز والجوز تمتدُّ على طول الطريق. قال «أحمد»: هذه أول مرة أرى دمشق!

قال «فهد»: ها أنت قد أتيت ... فأهلًا بك في دمشق.

وصلوا إلى المدينة فقال «أحمد»: أريد أن آكل الكبيبة الشامية في مطعم «علي بابا» ... فإنني أسمع عن جماله الشرقي الأصيل.

ضحك «عثمان» وهو يقول: بالإضافة إلى أنه يُقدم كبيبةً جيِّدة!

انحرف «فهد»، بسيارته إلى طريق الصالحية. حيث وقفت السيارة أمام مطعم «علي بابا». التفُّوا حول مائدةٍ، فجاءهم «الجرسون» مسرعًا. وطلبوا الكبيبة الشامية والتبُّولة ... وعندما انصرف الجرسون، قال «أحمد»: أظن أنه ينبغي أن تحكيَ ما حدث.

ابتسم «فهد» وقال: ليس الآن، عندما نصبح في البيت سوف أحكي لك كل شيء.

سأل «أحمد»: هل أستطيع أن أسألك سؤالًا واحدًا؟

قال «فهد»: نعم بالتأكيد!

قال «أحمد»: لماذا لم تستخدم الشفرة الجديدة، بدلًا من أن تُرسل «إلهام»؟

قال «فهد»: لقد أخطأت مرة، ولا أريد أن أُخطئَ مرةً أخرى، لقد خشِيتُ أن يعرفوا شيئًا، خصوصًا، وأنهم يلتقطون كل الإشارات.

قال «عثمان»: لكنهم لن يستطيعوا فكَّ رموزها ... ثم إنها سوف تتغير!

قال «فهد»: لقد فكرت في ذلك فعلًا، لكنني خِفْت أن ألفتَ النظر إلى شيء، إن خطأً واحدًا يكفي.

جاء الجرسون بالطعام، فانقضُّوا عليه. كان «أحمد» يشعر بالجوع الشديد، حتى إن «إلهام» قالت: على مهلك ... لن يرفعوا الطعام الآن.

ضحك أحمد، وفمه ممتلئٌ بالطعام، فلم يستطِع الرد، غير أن «عثمان» قال: إنني أعرف لماذا يأكل «أحمد» بسرعة ... إنه يُريد أن يعرف ماذا حدث.

هزَّ «أحمد» رأسَه علامة الموافقة ... وعندما انتهى من مضغ اللقمة التي كان يأكلها قال: أريد لبنة، إنني أُحبها جدًّا، فضلًا عن أنها مفيدةٌ تمامًا للمعدة.

ضحك «فهد»، وقال: وهي تساعد على الهضم، يبدو أن «أحمد» يريد أن يأكل مرة أخرى. ضحكوا جميعًا، وأشار «فهد» إلى الجرسون، ثم طلب اللبنة منه، سأل «عثمان»: هل أرسلت معلوماتك إلى رقم «صفر»؟

أجاب «فهد»: حتى الآن لا ... إنني بدأت أخشى أي شيءٍ، لقد فكرت أن أسافر إلى «خالد» وأطلب منه الذهاب إلى رقم «صفر» يبلغه بالمعلومات الجديدة.

قالت «إلهام»: إنني أقترح أن أسافر إليه، وأبلغه بالمهمة، بينما تكونون أنتم الثلاثة في عملكم.

قال «أحمد»: هذه فكرةٌ جيدة، وينبغي أن نبدأ فورًا.

ضحك «فهد» وقال: يبدو أن «أحمد» يريد أن يأكل طعام «إلهام» ... انتظر يا أخي حتى تنتهيَ من طعامها!

ضحكوا وأحضر «الجرسون» اللبنة، فأكل «أحمد» منها حتى شبِع، ثم تراجع في كرسيِّه وقال: الآن أستطيع أن أذهب إلى البيت فورًا!

قام الشياطين، فقالت «إلهام»: سوف أنطلق الآن، وغدًا، سوف أكون عندكم ...

انطلقت «إلهام»، بينما أخذ الثلاثة طريقهم إلى المقر السري في دمشق وهناك جلسوا في حجرة، أغلقها «فهد» جيدًا، ثم بدأ يحكي لهم تفاصيل خطته ...

العملية المزدوجة

قال «فهد»: إن خطتي بسيطةٌ جدًّا، لقد جرَّبتُها ونجحت وإذا كرَّرناها فسوف ننجح بالتأكيد، والمهم أن نستطيع الاستفادة منها بحيث نضع يدنا على طرَف الخيط كما قال رقم «صفر».

عثمان: دعك من المقدمات يا «فهد»، قل لنا ماذا هناك؟

كان «عثمان» يتحدث وهو يهزُّ كرته المطاطية الجهنمية التي يستخدمها أفضل من المسدس، ويُصيب بها أي شخصٍ على بُعد عشرين مترًا فيُسقطه أرضًا، كان يهزُّها كأنما يتمنى أن يستخدمها فورًا!

نظر «فهد» إلى «عثمان» وقال: إنك مَشُوق إلى القتال.

عثمان: هذه هي مهمتنا في الحقيقة، وليس الجلوس والحديث عن الخطط.

ابتسم «فهد» قائلًا: سنرى ما ستفعل ...

ثم قال: قلت لكم في القاعة الزرقاء إنني أحسست وأنا أُحدِّث «ريما» أن ثَمَّةَ من يستمع إلى المكالمة، وهكذا أدركت على الفور أن أجهزة الإرسال في هذا المقرِّ مراقَبةٌ إما من الجهاز الذي نبحث عنه، أو أي جهازٍ آخر.

أحمد: هذا معقول ... ثم ماذا؟

فهد: قمتُ بتجربة بسيطة، اتفقتُ مع «إلهام» أن تذهب إلى أحد المقاهي وتتصل بي، ثم تقول إن شخصيةً هامةً من طرَف الزعيم سوف تأتي في الساعة «١٦٠٠» على حدِّ تعبير العسكريين وتقابلني عند الباب الرئيسي للجامع الأموي، وتسلمني رسالة!

صمت «فهد» لحظات ثم مضى يقول: وطلبت من «رشيد» أن يتنكَّر في شخصية الرجل الهام القادم بالرسالة، ثم يقابلني فعلًا أمام باب المسجد الأموي، ويُسلمني بطريقة سريَّة هذه الرسالة المزعومة.

عَلَت الابتسامة وجهَيْ «أحمد» و«عثمان»، وقال «عثمان» معلقًا: أعتقد أننا يجب أن نُغيِّر اسمك من الـ «فهد» إلى الـ «ثعلب»، فهذه خطط الثعالب!

فهد: وطلبتُ من «إلهام» و«باسم»، و«ريما» أن ينتشروا حول المسجد ويراقبوا ما يحدث في هذه الساعة.

أحمد: عظيم يا «فهد» المهم ماذا حدث؟

فهد: في هذه الساعة كنت أسير متلصِّصًا بجوار المسجد «الأُموي» وأنا أتظاهر بأنني أُخفي وجهي خلف جريدةٍ منشورة، وأنظر حولي كأنِّي أهرب من مراقبة. وباختصار مثَّلت دورًا عظيمًا يَصلُح على خشبة المسرح بعنوان المطارد!

ومرة أخرى علت الابتسامة وجهَيِ الصديقين، ومضى «فهد» يقول: ورأيت «رشيد» يقترب مني ... وأخذ كلٌّ منَّا يؤدي دوره، حتى اقتربنا تمامًا أحدنا من الآخر ...

قال «عثمان» ضاحكًا: وماذا كان في المظروف السري؟

فهد: كانت به تذكرة سينما قديمة لم تُستعمل!

وضحك الثلاثة ... وقال «أحمد»: وماذا كانت نتيجة المراقبة التي قام بها زملاؤنا الشياطين الثلاثة!

فهد: كانت إيجابيةً جدًّا، فقد شاهدوا شخصين يتجسَّسان علينا، وأحدهما يحمل كاميرا صغيرة قام بأخذ بضع صور لنا أنا و«رشيد»، في دور الرجل الهام ...

أحمد: رائع ... رائع جدًّا يا «فهد»!

فهد: وهكذا قررت أن أرسل «إلهام» إليكم في القاهرة لإحضاركم ... ثم تذهب بعد ذلك إلى رقم «صفر»؛ لإخطاره بأننا وضعنا يدنا على طرَف الخيط.

عثمان: هذا إذا لم تكن المراقبة من عصابةٍ أخرى لا عَلاقة لها بالجهاز الخطير الذي نبحث عنه!

فهد: إنني لم أُكمل بقية الخطة!

عثمان: هل لها بقية؟

فهد: طبعًا ... بينما كان الرجلان يراقباننا وأحدهما يُصورنا، كانت «ريما» تقوم بتصويرهما في نفس الوقت!

عثمان: عمليةٌ مزدوجة!

فهد: بالضبط ... وقد قمتُ بتحميض الأفلام التي صُوِّرت لهما. وأرسلنا نسخةً إلى رقم «صفر»، لعلَّه يجد في أرشيف المعلومات شيئًا عنهما يُفيد في معرفة حقيقتهما.

أحمد: ومعك نسخة أخرى؟

مدَّ «فهد» يدَه في أحد الأدراج بجواره وقال: وهذه هي النسخة الأخرى!

وأمسك «أحمد» بالصورتين، ونظر إليهما ثم هزَّ رأسَه قائلًا: لا أعرفهما ولا أظن أننا التقينا بهما من قبل!

ونظر «عثمان» إلى الصورتين لحظات ثم قال: من المؤكَّد أننا لم نصطدم بهما من قبل!

فهد: وهذا يؤكد أنهما من جهاز التجسس الجديد، وأننا جزءٌ من مخطط هذا الجهاز، وأن القضاء علينا أمرٌ واجبٌ!

أحمد: هذا صحيح!

فهد: وهناك شيءٌ ثالث …

نظر إليه «عثمان» و«أحمد» في دهشةٍ، فقال: لقد قلت يا «عثمان» إنها عمليةٌ مزدوِجة، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك. إنها عملية مُثلثة!

هزَّ «عثمان» رأسَه وقال: لا أفهم …

فهد: ستفهم فورًا … فبينما كانت «ريما» تصورهما، تبِعهما «باسم» بعد انتهاء العملية حيث سارا في اتجاه سوق «الحميدية». ولكنه للأسف فقد أثرهما في الزحام، ولكنه يُرجِّح أنهما يقيمان في أحد الفنادق القريبة من المنطقة.

قال «أحمد»: لقد قمتَ بعمل رائع يا «فهد» ومن حقك أن تُطلق على هذه العملية المدهشة «العملية المُثلثة» فقد أنجزت ثلاث مهمات في وقت واحد!

فهد: المهم الآن أنني أفكر في كيفية استغلال هذه الخطة حتى نضع أنفسنا في خط التَّماس مع القاعدة الأرضية التي تتجسَّس أو يتجسس جاسوسها الخارق على كل المحادثات التليفونية واللاسلكية في العالم العربي.

أحمد: إن هذا يقتضي تخطيطًا دقيقًا، وما دامت «إلهام» قد سافرت إلى رقم «صفر» تحمل المعلومات التي حصلنا عليها حتى الآن، فمن الأفضل انتظارُ عودتها فقد تعود بمعلومات جديدة أو بخطة جديدة.

عثمان: إنني أيضًا أريد أن أعرف هذين الشخصين اللذين تجسَّسا عليك أنت و«رشيد». إن معلومات رقم «صفر» في هذا مهمةٌ جدًّا … لأننا قد نُفاجأ بأنهما من عصابة معروفة، وربما «الورلد ماسترز» التي كثيرًا ما اصطدمنا بها … وفي هذه الحالة نصبح أمام عصابةٍ، وليس جهازًا تابعًا لدولة معادية!

أحمد: معك كلُّ الحق في هذا يا «عثمان».

فهد: فعلًا ...

أحمد: وأين بقية الزملاء يا «فهد»؟

فهد: إنني قد وزَّعتهم على مهامَّ مختلفة؛ «إلهام» كما تعرفان سافرت إلى رقم «صفر» ... و«رشيد» ينزل في أحد الفنادق على أنه شخصيةٌ هامةٌ وهو بنفس الشكل التنكُّري الذي قابلني به أمام المسجد الأموي، و«ريما» تقوم بمراقبة أجهزة اللاسلكي فقد تلتقط إشارة ما ... و«باسم» يتجوَّل في سوق «الحميدية»، لعله يلتقي بالرجلين ... وأنا معكما!

ابتسم الثلاثة وقال «أحمد»: لقد وزَّعت المجموعة توزيعًا ممتازًا ... ولكن هناك لقطة هامة يا «فهد» ...

انتبه «فهد» و«عثمان» وقال «أحمد»: إن الرجلين اللذين صوَّراكَ أنت و«رشيد» ربما يضعان خطة ما للاستيلاء على المظروف الذي سلَّمته لـ «قيس» ... وقد يتمكنان من الوصول إلى «قيس» ...

فهد: كيف، وقد انصرفا دون أن يتبعاه؟

أحمد: إنك تُخطئ جدًّا يا «فهد» إذا تصوَّرت هذا، لقد قمت أنت بعملية مُثلثة فما الذي يمنع الرجلين من القيام بعمليةٍ مزدوجة؟

فهد: تقصد أن هناك ثالثًا للقيام بمهمة متابعة «قيس»؟

أحمد: بالضبط ... ولعله قد عرف أين ينزل «قيس» ... ولعل «قيس» يتعرَّض الآن لخطر شديدٍ، ليس فقط كشخصٍ، ولكن كشخصية هامةٍ ... فهم بالتأكيد سيحاولون الحصول على المظروف الذي سلمته له، فإن استطاعوا الوصول إلى المظروف، ووجدوا فيه تذكرة السينما، فسوف يعرفون أنكم تسخرون منهم، وقد يقومون بعملية انتقامٍ شاملة ... أو قد يختفون تمامًا، وفي الحالتين تتعرض خطتُك للفشل!

ساد الصمت بعد هذا التحليل المقنع ... وأحنى «فهد» رأسه في ضيق. لقد كان منذ لحظات قليلة فخورًا بما أنجزه من عمل، ولكن فجأة انقلب كلُّ شيءٍ رأسًا على عقب وهكذا رفع رأسه وقال: آسف أن أُعرِّض «رشيد» لهذا الخطر.

أحمد: كل منَّا يُخطئ، وليس مهمًّا ما يتعرض له «رشيد» من مخاطر.

فهد: «رشيد» يستطيع أن يحميَ نفسه ... المشكلة أن الخطة البارعة التي وضعتها قد تكشف عملاء القاعدة الأرضية، ولكن الوصول إليهم مُعرَّض للفشل، وهذا ما يُقلقني ...

قال «عثمان»: وما العمل؟

أحمد: العمل أن ندسَّ مجموعة من الوثائق المزيفة عليهم، ويجب أن تحتوي على معلومات هامة غامضة، بحيث إذا حصلوا عليها فتحت شهيتهم للحصول على بقية المعلومات.

عثمان: تقصد أن نعطيَ هذه الوثائق لـ «رشيد»، ونتركهم يحصلون عليها منه؟

أحمد: بالضبط ... ونكسب بهذا نقطتين؛ أولًا: يمكننا متابعتهم عند استيلائهم على الوثائق ...

ثانيًا: أن نضمن عودتهم إذا فرُّوا منا ...

فهد: من الممكن تزيف الوثائق فورًا ... إن «ريما» كما تذكرون متخصصةٌ في التزييف، وعندنا هنا في المقر السري جميع وسائل التزييف من أوراق رسمية وأحبار سرية وخُدَع للتصوير وغيرها.

أحمد: إذن استدعها فورًا!

قام «فهد» مسرعًا، وعاد بـ «ريما» خلفه، وبسرعة شرح لها «أحمد» المطلوب منها، ثم سألها: الآن الساعة الواحدة، متى يمكن أن تكون هذه الوثائق جاهزة؟

فكرت «ريما» لحظات، ثم قالت: في السادسة بعد الظهر؟ ...

أحمد: هذا مناسبٌ جدًّا ... هيا!

ودخلت «ريما» إلى معمل التزييف الصغير وبدأت عملها ...

سرقة الرجل المهم

بينما كانت يد الظلام تدقُّ نوافذ وأبواب مدينة دمشق، العريقة، كانت «ريما» قد انتهت من تزييف جميع الوثائق، وقد استعانت بأرشيف الشياطين للحصول على معلومات تبدو قيِّمة جدًّا، ولكن لا فائدة منها ... ثم كتبتها بشفرةٍ سهلة الحل نسبيًّا، ووضعت مجموعة من الأختام المزيفة لأجهزة المخابرات، واختارت ورقًا ناعمًا خفيفًا وملأته من جوانبه بأرقام شفريةٍ لا معنى لها، ثم أنهت الوثائق بجملة: وعلى سبيل الاحتياط، ستبدو هذه المعلومات ناقصة ... وفي الطريق مجموعة أخرى من الوثائق التي تكمل هذه المجموعة لتنقلها كلها على الجهة التي حددت لك ...

ثم زيَّفت إمضاءً غامضًا ... وفي الساعة السادسة تمامًا كانت تخرج من غرفة المعمل وتسلِّم الأوراق إلى «أحمد» الذي أمسك بها، وأخذ يفحصها جيدًا، ثم قرأ ما جاء فيها ورفع عينيه إلى «ريما» وفيها نظرةُ إعجاب قوية وقال: لولا أنني الذي طلبت منك هذه الوثائق، ولولا أنني متأكدٌ من إخلاصك، لظننت أن هذه أهم معلومات يحصل عليها العدو منَّا.

ثم سلَّم الأوراق إلى «عثمان» و«فهد»، فاطَّلعا عليها وصاحا في نفس واحد: عمل دقيق ورائع يستحقُّ التقديرَ والتهنئة!

أحمد: والآن، سننزل فورًا، وسنذهب إلى «رشيد» لتسليمه الأوراق ... إني متأكدٌ من أنهم سيحاولون الليلة سرقتها.

عثمان: هل نقوم بخطة تمويه؟

أحمد: طبعًا، سأذهب أنا في المقدمة، ومعي الأوراق ... ستقوم أنت بمراقبتي وتغطيتي ومعرفة من سيراقبني ... ثم خلفك «فهد» يقوم بتغطيتك.

وانطلق الثلاثة، وركبوا ثلاث سيارات مختلفة، انطلقت بهم من حول مقر الشياطين في جنوب دمشق، إلى وسط المدينة، وعندما أصبحوا على بُعد شارعين من الفندق الذي ينزل به «رشيد» نزلوا جميعًا، ثم قاموا بتنفيذ خطة التحرك والتغطية.

وصل «أحمد» إلى الفندق الكبير، كان ينظر حوله دون أن يُدير رأسه، وهذا جزءٌ من تمارين المراقبة التي تلقَّوْها في المقر السري، ولم تُخطئ عينه رجلًا يجلس في صالة الفندق ... متظاهرًا بأنه يقرأ جريدة، ولكن «أحمد» عرفه على الفور. إنه أحد الرجلين اللذين رآهما في الصور التي التقطتها «ريما» ...

وبالطبع تجاهله «أحمد» ... ثم ركِبَ المصعد إلى الدور العاشر حيث يُقيم «رشيد» ... دقَّ الباب ثلاثَ دقات، ثم دقَّه، ثم ثلاث دقات ... وفتح «رشيد» الباب.

لم يعرفه «أحمد» لأول وهلةٍ، كان تنكُّره مُتقَنًا ... رجل في نحو الثلاثين، جاد الملامح عسكريُّ الهيئة، ذو شاربٍ رفيع وشعر مقصوص، ولكن ابتسامة «رشيد» وهو يصافح «أحمد» أكدت أنه الشيطان رقم «١٣» في مجموعة الشياطين!

قال «أحمد»: هل من أخبار؟

رشيد: إنهم يراقبونني طول النهار ... وقد خرجت مرتين، وعرفت أنهم يتبعون خُطُواتي حيثما أذهب!

أحمد: عظيم ... هذا ما نريده بالضبط. والآن إليك هذه الوثائق ... إنها وثائقُ مزيفة، ونحن نعتقد أنهم سيحاولون الحصول عليها الليلة، ونحن نريدهم بالطبع أن يحصلوا عليها.

رشيد: هل تظن أنهم سيحاولون دخول غرفتي الليلة؟

أحمد: إني متأكد!

رشيد: هل أقاومهم؟

أحمد: لا ... ولكن إذا اضطُررتَ إلى ذلك، فدعهم يتغلبون عليك سريعًا حتى لا يُضطرون إلى إيذائك، وإن كنت أظن أنهم لن يَلجئوا إلى العنف، فهم بالطبع يريدون عدم كشف شخصياتهم، وفي نفس الوقت يتحاشَوْن تدخُّلَ جهات الأمن السورية ...

رشيد: عظيم!

أحمد: ضع الوثائقَ في المظروف الذي تسلَّمتَه من «فهد» وضع المظروف في جيب الجاكتة، وضع الجاكتة على كرسي أي ببساطةٍ سهِّل عليهم المهمة!

رشيد: وماذا بعد ذلك؟

أحمد: لا تتحرك من مكانك، ولا تتصل تليفونيًّا. وفي الصباح سيحضر إليك أحدنا متنكرًا لتُحيطه علمًا بما حدث ... ونحن في انتظار معلومات وتعليمات من رقم «صفر»، وسوف نُبلغك بها عندما تصل ...

وصافح «أحمد» «رشيد» وعاد يُكرر: لا تعرِّض نفسَك للعنف ... إنهم بالتأكيد لن يترددوا في قتلك إذا قاومت بشدة، وهذه صُورهم لتعرفها ...

نظر «رشيد» إلى الصور ثم قال: إنهم موجودون في الفندق، أقصد أن اثنين منهم يحومان حولي ...

أحمد: لقد رأيت أحدهم في صالة الفندق.

رشيد: وكيف حصلتم على الصور؟

أحمد: قصة طويلة ... ولكن أثناء مقابلتك أمام المسجد الأموي مع «فهد»، قامت «ريما» بتصوير الرجلين.

رشيد: عملٌ جيد!

أحمد: فعلًا!

جلس «رشيد» بعد رحيل «أحمد» على طرَف فِراشه يفكر في الساعات القادمة، ثم نظر إلى ساعته ... كان موعد العشاء قد حان، فقام إلى المرآة، وتأكَّد من تنكره. وانتظر نصف ساعة أخرى، ثم نزل إلى صالة العشاء ...

لم يكن رشيد في حاجةٍ إلى الاستنتاج أو المراقبة هذه المرة، فقد كان الرجلان موجودين؛ أحدهما يتظاهر بقراءة جريدة كما رآه «أحمد»، والثاني يقف عند منصة الاستقبال.

مشى «رشيد» بهدوء الرجل الواثق من نفسه حتى دخل قاعة الطعام، واختار كرسيًّا منفردًا بجوار النافذة وجلس ... ثم تظاهر بأنه ينظر حوله في توجُّس حتى أتى الجرسون وطلب العشاء.

تناول عشاءه في صمتٍ، وهو ينظر إلى ساعته بين لحظة وأخرى ... وعندما انتهى من طعامه، قام بهدوءٍ، وخرج من صالة الطعام، ولاحظ أن أحد الرجلين يتبعه، فتوقف «رشيد» قليلًا عند موظف الاستقبال وتحدث معه سائلًا عن خطابات، ثم عاد إلى غرفته.

غيَّر «رشيد» ثيابه، وأخرج مسدسه فوضعه تحت المخدة، ثم علَّق الجاكيت حسب اتفاقه مع «أحمد» على الكرسي، وتمدَّد في فراشه، ونظر في ساعته ... كانت قد أشرفت على العاشرة. لم يكن لديه أيُّ رغبةٍ في النوم. وفي نفس الوقت لم يكن يتوقع أن يتمَّ الهجوم قبل الساعة الواحدة أو الثانية صباحًا، وهو الوقت المناسب بعد أن تهدأ الحياة في الفندق الكبير.

كان الكتاب الذي يحمله «رشيد» عن قصة حياة الشاعر العربي الكبير «أبو الطيب المُتنبِّي» فقد كان «رشيد» رغم أنه مغامرٌ من أعتى المغامرين وأقواهم، له قلبٌ رقيق يُحبُّ

الشعر ويَطْرَب له ... ورغم أنه كان بحكم عمره يحبُّ الشعر الحديث، فإن الشاعر العربي الذي مات منذ أكثر من ألف عام هو شاعره المفضل، وكان الكتاب قد صدر بمناسبة الاحتفال بإقامة تمثال للشاعر في مدينة الكوفة.

استغرق «رشيد» في القراءة فترةً من الوقت. ثم عاود النظر إلى ساعته ... كانت الحاديةَ عشرةَ وخمس دقائق وقرَّر أن يقرأ بضع صفحات أخرى تم ينام.

وفي الحاديةَ عشرةَ والنصف، أغلق الكتاب، وأطفا النور، وتمدَّد في فِراشه وشدَّ الأغطية عليه.

ورغم أن الموقف بالنسبة لأي شخصٍ عاديٍّ لا يحتمل النوم، فهو مهددٌ بالموت، إلا أن التدريبات التي تلقَّاها كانت تقضي بأن يتمكَّن من النوم في أي وقت. وهكذا استسلم لغزو النوم ونام ...

لا يدري «رشيد» كم من الوقت مضى عليه، وهو نائمٌ ولكنه استيقظ على صوت يَصدُر من ناحية الباب. فتح عينيه ونظر. وشاهد الباب ينفتح تدريجيًّا، وأدرك أن الهجوم قد بدأ.

عاود «رشيد» إغماض عينيه لحظات ثم من خلال أجفانه نصف المُطبَقة شاهد رجلين يدخلان، أحدهما يمسك ببطاريةٍ صغيرةٍ أطلق منها شعاعًا من الضوء ناحيته فأغلق عينيه تمامًا ... كان الرجل يريد أن يتأكد من أنه نائمٌ ... أما الآخر فكان يمسك بيده مسدَّسًا سريع الطلقات ...

وبدأ الرجلان البحث ... والشيء المدهش أنهما لم يفتِّشا الجاكيت حيث كان يضع المظروف لتسهيل متهمتهما ... لقد بدآ البحث في الدولاب الذي لم يكن مغلقًا. كانا يفتِّشان بأصابعَ سريعةٍ مدرَّبة. وبين لحظة وأخرى كان الرجل الذي يحمل المسدس ينظر إليه؛ ليتأكد أنه ما زال نائمًا ...

انتابت «رشيد» رغبةٌ قويةٌ في أن يسخر من الرجلين، فتقلَّب من فراشه وأطلق بعض الكلمات ... وسرعان ما كفَّ الرجلان عن التفتيش وصوَّب الرجل ذو المسدس مسدَّسَه الضخم إلى رأس «رشيد» ... كان المسدس مُزوَّدًا بكاتم للصوت، وكان يكفي أن يضغط على الزناد لتخرق الرصاصة رأس «رشيد»، في أقل من ثانية ... ولكنه أعاد لهما الاطمئنان عندما همد مسمعه مرة أخرى. وعاد تنفسه ينتظم فعاودا البحث ... وكاد «رشيد» يبتسم وهو يسمع أحد الرجلين يقول للآخر: أين ذهب هذا المظروف اللعين؟

ردَّ الآخر هامسًا: قد يكون في هذه الحقيبة!

وأخرجا حقيبة رشيد، وفتَّشاها، ولكن بالطبع لم يعثرا على شيءٍ ... فقال أحدهما: أخشى أنه يضع هذا المظروف تحت مخدته.

الآخر: في هذه الحالة لا بد من إيقاظه وقد يؤدِّي هذا إلى مضاعفات نحن في غِنًى عنها.

الأول: لا مضاعفات ولا غيره، سأطلق عليه رصاصة وينتهي الأمر ...

الثاني: التعليمات التي عندنا تقضي بألَّا نقتله إلا إذا تعرضنا للخطر. فنحن قد بذلنا المستحيل حتى نعثر على أحد عملائهم ... وعن طريقه سنعرف بقية أسرار هذه المنظمة التي لم يقف أحدٌ في طريقها حتى الآن!

ودار شعاع الضوء الرفيع ... وفجأة قال أحدهما: الجاكيت ... إن أحد جيوبها منتفخٌ.

وارتكز أحدهما على ركبته، ومدَّ يده وأخرج المظروف وقال هامسًا بابتهاج: إنه نفس المظروف الذي تسلَّمه أمام المسجد الأموي!

وسمع «رشيد» وشوشة الأوراق وهي تخرج وقال أحدهما: ضع الوثائق حسب الترتيب على المائدة، وسأصورها ... إننا إذا أخذناها عرفوا الحقيقة وتوقفوا عن التعامل معه.

ورمَقَ «رشيد» الرجلين وهما منحنيان على المائدة التي في طرَف الغرفة، وسمِع آلة التصوير وهي تزنُّ وتُصور المستندات السرية جدًّا «المزيفة» واحدةً إثرَ الأخرى ...

ومرةً ثانية تقلَّب «رشيد» في فراشه ... لقد أصبح واثقًا أنهما لن يقتلاه إلا إذا هاجمهما، فأراد أن يُضيف إلى الموقف لمسةً درامية ... وسرعان ما التفت حامل المسدس إليه ... ولكن «رشيد» واصل نومه بسرعة، وعاد الرجلان يكملان مهمتهما ...

مضت خمسُ دقائقَ والرجل يُصوِّر المستندات ... ثم سمع «رشيد» الأوراق تُعاد إلى المظروف. واقترب الرجلان على أطراف أصابعهما. وأعاد أحدهما المظروف إلى جيب الجاكيت وهمس للآخر بابتهاج: لقد كانت مهمةً سهلة!

ابتسم «رشيد» تحت الأغطية، وعندما سمعهما يتَّجهان إلى الباب رفع رأسه قليلًا وشاهدهما يخرجان بهدوءٍ ويغلقان الباب مُحْدِثًا صوتًا ضعيفًا لا يكاد يُسمع ... وجلس «رشيد» في فراشه وتنفَّس الصُّعَداء.

عندما تكون النتيجة ١٠٠٪

عادت «إلهام» في اليوم التالي تحمل رسالة من رقم «صفر» إلى مجموعة الشياطين الـ «١٣» العاملة في دمشق ... كان التقرير ينقسم إلى جزأين هامين:

قال رقم «صفر» في الجزء الأول: استمرُّوا في محاولتكم ... إذا ثَبَتَ أنكم وضعتم أيديَكم على طرَف الخيط فسيكون هذا من أعظم ما حققتم ... لا تتصلوا بي تليفونيًّا ولا لاسلكيًّا ... إن عندهم أجهزة لحل الشفرة مهما كانت.

وكان الجزء الثاني عن الرجلين؛ إن الرجلين من إيطاليا، حيث يوجد فرعٌ قويٌّ من عصابة «المافيا» الدولية ... ويجب أن تتذكروا أن «المافيا» أصلًا من جزيرة «صقلية».

أحد الرجلين — الطويل ذو الوجه الذي يشبه الغوريلَّا — يُدعى: «كاميني جاتوا»، وشهرته تقوم على قسوته الشديدة في معاملة أعدائه ... خرج من السجن بعد أن قضى ١٥ عامًا بتهمة تهريب المخدِّرات، ومن يومها اختفى عن الأعين وهذه أولُ مرةٍ يظهر فيها منذ ١٨ شهرًا ... أعتقد أنه دخل سوريا باسم مستعارٍ وبجواز سفر مزيَّف.

الثاني: «يوناسيرا بونانو» ويسمُّونه «ب. ب»، وقد عمل في «شيكاغو» فترة طويلة ضمن فرع عصابة المافيا، الذي يرأسه «كارميني جالينتي»، ولكنه أبعد من أمريكا بعد خلافه مع «كارميني» ... وهو داهيةٌ شديد الذكاء يُجيد استخدام الخناجر والمسدسات. يملك محلًّا لبيع أدوات الصيد يستخدمه كستار لنشاطه الإجرامي غير المشروع ...

وقال رقم «صفر» في ختام رسالته: قد يكون هذا الصدام مجرد محاولة من العصابات الدولية للقضاء على منظمة الشياطين الـ «١٣»، وقد يكون موجَّهًا من القاعدة الأرضية في نفس الوقت. خذوا حذركم؛ فإن المؤشرات الإلكترونية أصبحت تؤكد أن القاعدة الأرضية قريبةٌ من دمشق.

كان الشياطين يستمعون إلى «إلهام» وهي تقرأ التقرير ... «أحمد» في الطرَف الآخر لمائدة الاجتماعات. وعلى الجانبين «عثمان» و«زبيدة»، و«فهد» و«ريما» و«باسم» ... لم يكن ينقصهم إلَّا «رشيد» الذي كان يقوم بدوره كشخصٍ هامٍ يحصل على الوثائق ...

قال «أحمد»: سنقوم بالتجربة الثانية بواسطة التليفونات، بعد أن نستمع إلى تقرير من «رشيد» عما تمَّ له ليلة أمس ... وسيذهب إليه «فهد» بنفس الطريقة التي تمَّ بها الاتصال الأول، أمام المسجد الأُموي، ليُسلمه مجموعة جديدة من الوثائق المزوَّرة. ويتسلَّم منه تقريرًا عمَّا حدث أمس ...

قالت «إلهام»: إنني أعترض على هذه الفكرة؛ فهؤلاء الرجال من عصابة «المافيا» ليسوا أطفالًا. وإذا أجرينا التجربة الثانية. ونجحوا في الحصول على الوثائق مرة أخرى فسوف يشكُّون في الأمر ... خاصة وأن الوثائق التي حصلوا عليها سوف تذهب إلى أجهزةٍ سريةٍ مختصَّة وقد يكتشفون سريعًا تزييفها، ونتعرض لانتقامٍ رهيبٍ دون أن نستفيد شيئًا من خطة «فهد» التي نجحت حتى الآن.

ساد الصمت بعد هذه الجملة ... وقال «أحمد» بشجاعة: أوافقكِ على رأيك ... المهم، ما هو البديل؟

إلهام: لقد آن الأوان بعد التجربة الأولى أن نضرب ضربتنا قبل أن تختفيَ هذه الآثار المشجعة، ولهذا نريد مناقشةً واسعة ...

لم تكد «إلهام» تنتهي من جملتها حتى سمعوا دقًّا خفيفًا على الباب، ثلاث دقات ... دقة واحدة ... ثلاث دقات، فقالت «ريما» إنه «رشيد».

وفتحوا الباب ... كان هو «رشيد» فعلًا في شكله العادي ... دخل قائلًا: معذرةً ... لقد تضايقتُ من هذا التنكُّر السخيف، وأردتُ أن أزورَكم!

أحمد: هل تأكدتَ أنَّ أحدًا لا يتبعُك؟

رشيد: مطلقًا ... وقد ذهبت إلى محطة السكة الحديد حيث غيرَّتُ ثيابي داخل دورة المياه، ووضعت ثياب التنكر في حقيبةٍ سلَّمتُها في الأمانات، والذي كان يتبعني ما زال ينتظر هناك! ...

ضحكوا جميعًا ثم قال «فهد»: والآن ماذا حدث لك ليلًا يا حضرةَ الشخص الهام؟!

ابتسم «رشيد» قائلًا: سمحتُ لهم بالطبع أن يسرقوني وقد كانوا كرماء معي. فلم يسرقوا الوثائق! ...

التفت إليه الجميع في دهشةٍ ... فمضى يقول: لقد اكتفَوْا فقط بتصويرها، وقد قضيتُ وقتًا ممتعًا في الفراش وأنا أعبث بهم ... وكلما تحركتُ حركةً توقَّفا عن العمل، ورفع الغوريلَّا مُسدَّسَه وصوَّبه إلى رأسي.

أحمد: إذن قد ابتلعوا الطُّعم؟

رشيد: كاملًا!

أحمد: عظيم ... نحن نناقش الآن يا «رشيد» والخُطوة التالية. و«إلهام»، تعتقد أن الأوان قد آن لنضربَ ضربتَنا، فاشترِكْ معنا ...

ودارت مناقشةٌ واسعةٌ ... وبعد استعراض كل الآراء، اتفقوا على خطة ... أعاد «أحمد» عليهم مُلخَّصَها: لقد اتفقنا على وضع هذه الخطة على أساس أن القاعدة الأرضية التي تقوم بتوجيه القمر الصناعي، أو مركبة الفضاء موجودةٌ قرب دمشق. وبالطبع إنها لا يمكن أن تكون داخل سوريا نفسها. فهي إذن على الحدود الجنوبية المتاخمة للحدود اللُّبنانية، وحدود فِلَسطين المحتلَّة، أو الحدود الشمالية بين سوريا، وتركيا. وسنركِّز الآن على أن القاعدة على الحدود الجنوبية لأنها في هذا المكان تكون أقرب إلى المنطقة العربية، هل هذا معقول؟

ردَّ الشياطين: معقول جدًّا!

أحمد: الآن نتحدث عن صُلب الخطة، وهي قائمةٌ على أن نستطيعَ متابعة أحد الرجال الذين يطاردوننا الآن ويحاولون كشْفَ سرِّنا ... أو أن يسقط أحدنا عمدًا في أيدي رجال العصابة، بحيث يقودونه إلى القاعدة ... وفي الحالة الثانية نحتاج إلى جهاز إرسالٍ دقيقٍ يدخل القاعدة مع من يسقط منا بحيث يستطيع إرشادنا إلى مكان القاعدة. فهل عندنا مثلُ هذا الجهاز هنا يا «فهد»؟

ردَّ «فهد» وهو المسئول عن المقر السري في دمشق: نعم ... أرسَل لي المركز الرئيسي منذ ثلاثة أسابيع جهاز إرسال مبتكر يُوضع في كعب الحذاء، بحيث يرسل إشارةً كلما ضغط لابس الحذاء بزاويةٍ معينة.

أحمد: وجهاز الاستقبال؟

فهد: جهاز الاستقبال عبارة عن قلم حبر عاديٍّ عليه علامات تشبه علامات الترمومتر مقسم إلى كيلومترات وأمتار. ويضيء الجهاز عند علامة المسافة ضوءًا أحمرَ دقيقًا.

أحمد: عظيم جدًّا ... والآن إليكم التفاصيل مقسَّمة على كل واحد منا، نحن سبعة ... ستبقى «ريما» هنا مع الأجهزة للاتصال بنا عند الحاجة. سأقوم أنا و«عثمان» و«باسم»

بدَوْر رأس الحربة، إلى الهجوم الأول. ويقوم «فهد» و«إلهام» بحمايتنا. وسيقوم «رشيد» بدور الرجل الهام …

رشيد: يعني سأقوم مرة أخرى بدور «الرجل الهام»؟

أحمد: مرة واحدة أخيرة … سنتحدث إليك تليفونيًّا في الخامسة مساءً على أننا قد حصلنا على أسرار في غاية الخطورة عن قاعدة ما معاديةٍ تعمل على الحدود. ونطلب منك لقاءنا عند سفح جبل «الجولان» عند نقطةٍ سنحددها الآن على الخريطة، بحيث تكون أقرب نقطة إلى الحدود السورية اللبنانية الفِلَسطينية المشتركة … وستعطينا إشارات بالبطارية.

رشيد: الساعة؟

أحمد: الحادية عشرة ليلًا … ونتمنى بالطبع أن يلتقطوا الرسالة؛ ففي هذه الحالة سيقومون بالهجوم علينا هناك. وسيكون هدفهم القضاء على بعضنا، وأسر البعض الآخر لاستجوابه … وهكذا سيحمل كل منَّا جهازًا من الأجهزة الدقيقة في كعب حذائه، فنحن لا نعرف مَن منَّا الذي سيقع في الأسر.

عثمان: هل هناك أجهزةٌ كافية؟

فهد: طبعًا … إن المقر السري يرسل دائمًا «١٣» جهازًا أي بعدد الشياطين الـ «١٣»؛ توقعًا لأي احتمالٍ. كما أن هناك عددًا كافيًا من الأسلحة الخفيفة …

أحمد: إذن، سننفذ الخطة … اضبطوا ساعاتكم على الساعة الخامسة مساءً بالضبط.

قام «فهد» بالاتصال بـ «رشيد»، وتحدث معه عن أسرار قاعدةٍ فضائية في منطقة جبل «الجولان». وطلب منه اللقاء في منطقة معينة حددها. وقال له: وسوف نقودك إلى قرب القاعدة لتراها من بعيد …

كان الشياطين مجتمعين حول «فهد» يستمعون إليه وهو يُملي الرسالة … وعندما انتهى منها ووضع السماعة سأله «أحمد»: هل الرسالة مراقبة؟

فهد: بالتأكيد … فهناك هذه الوشوشة الخافتة، وصوت الصفارة البسيط الذي لا تكاد تسمعه الأذن.

أحمد: إذن كل شيءٍ على ما يرام … هيا نرتاح قليلًا، ثم نتناول وجبةً خفيفةً ونستعدُّ للرحيل.

عثمان: كم تستغرق المسافة يا «فهد»؟

فهد: بسرعة معقولة نصل هناك في نحو ساعتين.

أحمد: إذن نتحرك في الثامنة والنصف …

قضى الشياطين الساعات الباقية في تجهيز مختلف معدات القتال ... وقامت «ريما» بتركيب أجهزة الإرسال الدقيقة في كعوب الأحذية ... و«إلهام» بالكشف عن قِطَع السلاح المختلفة ... واطمأنَّ «أحمد» على بعض الأسلحة الرفيعة الحادة التي يضعُها حول ساقه وتنفعه في حالات الأسر، وعلى الديناميت ...

وعندما دقَّت الساعة الثامنة والنصف، كانت سيارتان تغادران قلب دمشق في اتجاه جبال الجولان ... السيارة الأولى بها «عثمان»، و«أحمد» و«باسم». والثانية فيها «فهد»، و«رشيد» و«إلهام. وكان «باسم» الفِلَسطيني يقود السيارة الأولى، و«فهد» السوري يقود السيارة الثانية، فهما يعرفان المنطقة، ويعرفان الطريق خيرًا من الآخرين ... وبعد نصف ساعة غادرت السيارتان دمشق وأخذنا طريقهما إلى الجبال. وبين فترةٍ وأخرى كانتا تَزيدانِ السرعة؛ ليصل الشياطين مبكِّرين، ويتخذون مواقعهم قبل أن يصل رجال العصابات ...

وكان «رشيد» يرتدي ثياب التنكر؛ حتى يظهرَ أمام رجال العصابات، وهو في شخصية «الرجل الهام» الذي حضر لاستلام الوثائق.

في العاشرة وخمس وعشرين دقيقة كانوا قد وصلوا إلى قرب النقطة التي حدَّدوها ... ونزل «رشيد» وأعاد ترتيب ثياب التنكر، ثم اتجه مبتعدًا عن السيارتين مشيًا على الأقدام، ووصل إلى نقطة تتكاثف فيها أشجار اللوز والجوز والتفاح ... وتوقف لحظات ثم ضغط على كعب حذائه، ونظر الشياطين إلى الأقلام التي معهم، وأوضحت المؤشرات الحمراء أنه على مبعدة ٥٥ مترًا منهم ...

وحسب الخطة أخرج «رشيد» بطاريةً أضاء بها ثلاث مرات ثم توقَّف لمدة دقيقة ثم أضاء مرتين. وانتظر دقيقة أخرى. ثم أضاء مرة ثالثة ...

وهنا نزل «أحمد» و«عثمان» واتجها إليه ... كان «عثمان» يحمل مع مسدَّس سريع الطلقات كرتَه المطاط الجهنمية. وكان يسير على بعد عشرين مترًا من «أحمد».

تقدم «أحمد» حتى أصبح على بعد نحو عشرة أمتار من «رشيد» ثم أطلق بطاريته هو الآخر بنفس الطريقة. وفي هذه اللحظة أُضيء كشافٌ قويٌّ من بين الأشجار كشف «أحمد» و«رشيد» وقال صوتٌ خشن: قفا مكانكما ... أية حركةٍ تعني الموت!

وقف «أحمد» مكانه، بينما اختفى «عثمان» سريعًا خلف إحدى الأشجار ... وظهر رجلان يتقدمان وكل منهما يحمل مدفعًا رشَّاشًا في الضوء القوي القادم من الكشاف.

اتجه واحدٌ من الرجلين إلى «رشيد»، والثاني إلى «أحمد» وطلبا منهما أن يرفعا أيديهما إلى فوق.

أطاع «أحمد» و«رشيد» الأوامر ... وتظاهرا بالدهشة الشديدة لما يحدث ... وإن كان «أحمد» سعيدًا بما يحدث رغم خطورة الموقف ... لقد نجحت الخطة بنسبة مائة في المائة، ولكن ماذا تكون الخطوات التالية؟

فتَّش الرجلان «أحمد» و«رشيد»، وجرَّداهما من المسدسين اللذين كانا يحملانهما، ثم وضعا على عينَيْ كلٍّ واحدٍ منهما عصابة سوداء ... وقال أحدهما: ستسيران بضع دقائق فقط. المكان ليس بعيدًا.

وأمسك كل منهما بذراعِ واحدٍ من الشياطين، وسارا ... وخلفهما كان «عثمان» وخلف «عثمان» كان «باسم» و«فهد» و«إلهام» ... واتجه الرجلان إلى طريق ضيق صاعدٍ سفحَ الجبل إلى فوق. وكان «أحمد» يُحدِّث نفسَه إن كان حقًّا سيدخل القاعدة الأرضية.

صراع الصخور والرجال

انضمَّ رجلٌ ثالث إلى الرجلين الأولين ... ثم بعد فترةٍ قصيرةٍ انضمَّ رابع ... وأدرك «أحمد» أنهم كانوا يُعدُّون مجموعةَ كمائن في حالة الهجوم عليهم ... وتأكَّد أن عدد الرجال كبيرٌ، وأن التخلُّص منهم مشكلة ... وكان «عثمان» يفكر في نفس الشيء ... لهذا تقدم بخطواتٍ سريعة، ثم رفع كرته المطاط الجهنمية إلى فوق، ووزنها بضع مرات ثم أطلقها كالصاروخ فأصابت آخر رجل انضم إلى المجموعة وسقط على الأرض ... وكان الرجل الثاني قريبًا منه، فالتفت يبحث عن زميله، وقد بدت عليه علامات الدهشة والحيرة، وتلقف «عثمان» كرته التي ارتدَّت والتي يلمع جزءٌ منها في الظلام لأنه مطليٌّ بالفوسفور ... ووزَنَ «عثمان» الكرةَ في يده بضع مرات ثم قذفها، ومرة أخرى أصابت الهدف ... وسقط الرجل دون أن ينطق بآهةٍ واحدةٍ!

وسار «عثمان» قريبًا من الرجلين الأولين وهما يقودان «أحمد» و«رشيد». وفجأة وجدهم يقتربون من باب منحوتٍ في الصخر، ذكَّره بأبواب المقر السري للشياطين الـ «١٣» وأدرك أن الأربعة إذا دخلوا من هذا الباب فلن يستطيعَ الشياطين اقتحامه فأسرع يحبو على الأرض حتى أصبح خلف الرجلين تمامًا ... وما كاد «أحمد» و«رشيد» يدخلان ويتبعهما الرجلان حتى وضع «عثمان» مسدسه الضخم بين ضلفتي الباب ... وهكذا ظل مفتوحًا.

وتوقف «عثمان» حتى لحِقَتْ به «إلهام» و«فهد» و«باسم» وروى لهما بسرعةٍ وهَمْسٍ ما جَرَى، فانتظروا لحظات، ثم تقدَّم «عثمان» و«فهد» وأمسك كلٌّ منهما بمِصْراع من الباب، واستخدما عضلاتهما الفولاذية في فتحه حتى دخلت «إلهام» و«باسم»، ودخلا خلفهما مسرعَيْن، وأُغلق الباب.

كان «باسم» يحمل كمية من الديناميت شديد الانفجار، فقال له «عثمان» ضع كميةً من الديناميت عند الباب ... فقد نحتاج لفتحه عَنْوةً بعد قليل.

وقام «باسم» بوضع شحنةٍ ناسفة يمكن تفجيرُها بجهاز كهربائي خاص معه ... ثم أسرع الأربعة يجرون في الدهليز الصخري، مسترشدين بصوت أقدام «أحمد» و«رشيد» والرجلين.

مضت مدة ... ودُهشت «إلهام» لطول النفق الصخري ... وفجأة توقف صوت الأقدام، وسمعوا حركةً قويةً في نهاية الدهليز، أسرعوا ليلحقوا ما يحدث. ووجدوا أنفسهم أمام مصعدٍ ضخم في قلب الجبل. وكانت بقع الأضواء التي على بابه توضِّح أنه يصعد ...

قال «عثمان»: شيءٌ مدهشٌ إنه ليس هناك حراس على الإطلاق!

إلهام: ربما كان الحارسان اللذان ضربتهما هما المسئولان عن الباب الخارجي ... وربما كانوا واثقين جدًّا من مناعة النفق على الاقتحام.

فهد: هل سنصعد في المصعد إلى فوق؟

باسم: ليس أمامنا سوى هذا!

عثمان: إن الأرقام توضِّح أن المصعد توقَّف في الطابق الأخير، وفي هذه الحالة أفضِّل أن نصعدَ إلى الطابَق السابق له، فإذا دارت معركةٌ لم يحسَّ بها من يكون في الطابق الأعلى، حتى يمكننا الصعود إليهم.

إلهام: إن مؤشر اللاسلكي يُشير إلى أنهم الآن على ارتفاع ثلاثين مترًا وقد توقف المصعد.

عثمان موجِّهًا حديثه إلى «باسم»: هل معك عبوات ناسفة كافية؟ إن هذا الجبل فيما يبدو يحتاج إلى مجهودٍ خارق لنسفه!

إلهام: نحن لن ننسف الجبل ... المهم المحطة!

وأخذ السهم يشير إلى نزول المصعد تدريجيًّا حتى توقف أمامهم ... ومدَّ «عثمان» يده ليفتح الباب، وكانت المفاجأة ... خرج رجل من المصعد ... ونظر كل منهما إلى الآخر، ومضت ثوانٍ من الدهشة المتبادَلة! ...

وكان «عثمان» أسرع إلى العمل، فقد أرسل قبضته في لَكْمةٍ قوية سقطت على وجْهِ الرجل كالصاعقة ... وتمايل الرجل وهو يضع يده على حزامه محاولًا إخراج مسدسه ... ولكن «فهد» كان خلفه تمامًا فهوى بقبضته عليه وتراخى جسد الرجل وتهاوَى إلى الأرض.

إلهام: خذوه في أحد الأركان المظلمة. فلا أحدَ يعلم حتى الآن أننا في القاعدة ... جرَّ «عثمان» و«فهد» الرجل بعيدًا إلى جوار إحدى الصخور البارزة في النفق الصخري، ثم ركب الجميع المصعد، ودُهِشوا لاتساعه وكثرة الأجهزة والأسلاك التي به ...

ووضعت «إلهام» يدَها على فمها علامة التحذير وأشارت إلى الأجهزة ... وفهِمَ الجميع ما تعني ... أن أيَّ همسةٍ سوف تُسمع في أجهزة المراقبة التي فوق ...

وصل المصعد إلى ارتفاع خمسة عشرين مترًا، وأشارت «إلهام» إلى «فهد» أن يتقدَّم وحده وفتح «فهد» الباب وانتظر لحظات ... لم يحدث شيء ... أبرز رأسَه، ونظر خارج المصعد ... كانت مفاجأة ... الجدران الصخرية تملؤها الأسلاك والأضواء ... وعشرات من شاشات التليفزيون بعضها يعكس صورًا للحياة في بعض الدول العربية من الشوارع، وبعضها يوضح بعض الخطوط البيانية والأرقام ... ولم يكن هناك سوى حارس واحد قد انشغل بمشاهدة إحدى شاشات التليفزيون ... وأشار «فهد» إلى «عثمان» وخرج «عثمان» بحذر يهز كرتَه المطاط الجهنمية ... ثم طوَّح بذراعه إلى الخلف وقذف الكرة بكل قوته، وطارت كطلقة الرصاص، وأصابت الحارس الذي توقف في مكانه لحظة، وخفقت قلوب الشياطين ... هل رأسه تحتمل هذه الضربة دون أن يقع؟ ولكن قبل أن تخطر الإجابة على رءوسهم كان الرجل قد انهار على الأرض.

تقدَّم الشياطين سريعًا في الدهليز. وأشار «عثمان» إلى «باسم» الذي أخذ يضع العبوات الناسفة في أماكن متعددة من النفق، ثم تقدَّم «عثمان» وقد فتح فمه دهشةً ...

كانت إحدى شاشات التليفزيون تعكس صورة لشارع في مدينة «الخرطوم» ... معنى هذا أن هذه المحطة الأرضية تستقبل الصور أيضًا وليس الأحاديث التليفونية والسلكية فقط.

كان «فهد» ينحرف في دهليز صغير متقاطع مع الدهليز الصخري، عندما فُوجئ مفاجأة كاملة ... كان «كاميني جاتوا» الغوريلَّا — رجل العصابات الشرس — يقود «رشيد» وفي يده مسدسٌ ضخم ... كان تنكُّر «رشيد» قد أُزيل، وبدا واضحًا أن رجال القاعدة الأرضية قد اكتشفوا الحقيقة ... أن الشخصية المهمة التي تجسَّسوا عليها وحصلوا منها على الوثائق، ليست إلا شخصية مزيفة ... وكان «كاميني» يصيح بضراوةٍ: سوف أجعلك تندم على أنك وُلدت ... قبل أن ألهب نافوخك الصغير بالرصاص! كانت هذه الجملة هي آخر ما نطقه «كاميني» قبل أن يفتح عينيه في دهشةٍ وذهول وهو يرى «فهد» أمامه ... ولم يكن في استطاعة «فهد» أن يطلق الرصاص عليه. فقد كان «رشيد» بينهما ... وأدرك «رشيد» هذه الحقيقة، فدار مُسرعًا منتهزًا فرصةَ ذهولِ «كاميني»، وبضربةٍ أطار المسدس من يده! ...

وزالت دهشة «كاميني» وتحول إلى غوريلَّا متوحشة فقد انقضَّ على «رشيد» كالصاعقة واستطاع أن يمسك بذراعه التي أطارت المسدس حتى كاد «رشيد» يصرخ

من الألم ... ولكن «فهد» قفز ثلاث مرات أمامًا ثم يسارًا ثم انقضَّ على «كاميني» وطار في الهواء ووجَّه ضربةً رائعة إلى الغوريلَّا القبيح. وأفلت «كاميني» ذراع «رشيد»، ودار دورةً كاملة حول نفسه قبل أن يُطبِقَ عليه «رشيد» من ناحية و«فهد» من ناحية أخرى ... كان كالساندوتش بينهما وهما يلعبان معه لعبة العصارة. فقد أمسك كل منهما بإحدى ذراعيه وأدارها في الاتجاه العكسي، وقرقعت عظام «كاميني»، وأطلق صرخةً متألمةً. كانت صرختَه الأخيرة ... فقد وجه له «فهد» لكْمةً أشبه بالقنبلة ردَّت الصرخة إلى حلقه وجرَّه الصديقان إلى حيث كانت «إلهام» تقف وقد فتحت بابًا في الجدار ... ونظرا إلى الداخل، كانت إحدى غرف الأجهزة اللاسلكية، وأسرعا بوضعه فيها ثم أغلقا الباب.

عثمان: أين «أحمد» يا «رشيد»؟

رشيد: لا أدري ... إنهم يستجوبونه، ويجب أن نلحقَ به ... إنهم وحوش لا يعرفون الرحمة.

عثمان: سننقسم إلى فريقين؛ أنا و«فهد» في ناحية، وأنت و«إلهام»، و«باسم» في ناحية ... ولا تنسوا أن تضعوا العبوات الناسفة كلما تيسَّر ذلك ...

إلهام: أين نلتقي؟

عثمان: في نفس هذا المكان ... فهو خالٍ من الحراسة الآن ... ولكن هذا بعد نصف ساعة ... سنصعد نحن بالمصعد، وأنتم تقومون بتطهير الحراس ووضع العبوات الناسفة ...

وافترقت المجموعتان، وأسرع «عثمان»، و«فهد» بالصعود بالمصعد ... وفي ثوانٍ قليلة وجدا نفسيهما في الدور الأخير، ومن المؤكد أنه المقر الرئيسي للحراسة والأجهزة التي تحرس المحطة.

فتح «فهد» الباب بحذرٍ شديدٍ، ورأي على طول الحائط أمامه خطًّا أصفر من الضوء المتقطع خلفه جدار ضخم من الصخر المصفَّح بالصُّلْب. وخلف خط الضوء الأصفر مباشرةً كانت هناك عشرات المؤشرات المضيئة تتلوَّن بألوان مختلفة، وأطلَّ برأسه أكثر ... ووجد يدًا تمتد بهراوة تكاد تهوي على رأسه، فقفز خارجًا مُمسكًا في نفس الوقت بالذراع الممتدة، وقفز «عثمان» خلفه ... كانا حارسين يقفان بجوار باب المصعد مسلَّحَيْن بالهراوات وبمسدسات صغيرة غريبة الشكل ... أدار «فهد» الذراع الممسك بها واضطُرَّ صاحبُها أن يستديرَ معه، وكان «عثمان» قد انقضَّ على الحارس الآخر، ودارَ صراع قصير انتهى بسقوط الحارسين.

وقف «فهد» و«عثمان» يلتقطان أنفاسهما، ثم سارا على أطراف أصابعهما ... وفجأةً شاهدا شيئًا لم يتوقعاه مطلقًا ... السماء سوداء ... تلمع فيها النجوم ... وهمَسَ «عثمان»: نحن على قمة الجبل ... إن المحطة في الناحية الأخرى.

وسارا بسرعةٍ، ووصلا إلى حافةٍ قمة الجبل، ونظرا ... كانت هناك ثلاثة أجهزة رادار ضخمة تدور، أحدها موجَّه إلى ناحية الشرق، والآخر إلى الغرب ... أما الثالث فكان موجَّهًا إلى فوق؛ إلى السماء ...

همس «عثمان»: هذه أضخم أنواع الرادار التي رأيتها في حياتي ... اثنان للالتقاط من الأرض، والثالث لالتقاط الإشارات من القمر الصناعي ... هيا بنا.

سارا معًا في دِهْليز مكشوفٍ على جانب الجبل، وفجأة أشار «فهد» إلى شيءٍ في جانب من الجدار، وأسرعا يشاهدانه ... كانت فتحة في الجدار بها شاشة تليفزيون زرقاء مثل السماء، وقال «فهد»: إنها تعكس صورة السماء!

وقبل أن ينتهيَ من جملته ظهرت على الشاشة كرةٌ صغيرة مضيئة اللون تسير بسرعة في مدار ... وقال «عثمان»: إنه القمر الصناعي!

فهد: الصورة الآن واضحةٌ لنا ... عندهم أجهزة تصوير تليفزيوني وتليفوني متقدم جدًّا ... تنقُلُ أكثر ما يحدث على الأرض العربية من نشاط، وتنقل الأحاديث، والمكالمات اللاسلكية كلها ...

عثمان: إنه عملٌ ضخمٌ!

فهد: ومهمتنا أن نحوِّله إلى أنقاض.

وفجأةً أمسك «عثمان» بذراع «فهد» وجذبه في جانبٍ مظلم، فقد فُتِح بابٌ وخرج رجل، ورأى الصديقان وجهَه، لم يكن إلا «يوناسيرا بونانو»، رجل «المافيا» ... كان يتحدَّث مع شخصٍ داخل الغرفة وسمِعاه يصيح: أين هؤلاء الحراس؟ ... إنني لم أجد أحدًا ... لقد ضربت كل الأجراس دون جدوى!

ومشى «يوناسيرا» سريعًا حتى اقترب من الصديقين. كان يمسك بيده مسدسًا طويل الماسورة يشبه المدفع. وكانت عيناه تقدحان شررًا ... ونظر «عثمان» إلى «فهد» نظرةً فهِم منها «فهد» ما هو المطلوب ... وتركاه يسير حتى أصبح على بعد مترٍ واحد منهما. وكالحيوان المتوحش أحسَّ «يوناسيرا» بوجود «عثمان» و«فهد» فرفع مسدسه إلى فوق، واستعدَّ لإطلاقه ... وانقضَّ عليه الشيطانان كالصاعقة ... لم يضرباه، لم يحاولا أخذ المسدس من يده، لقد حملاه بين أيديهما كالطفل وألقيا به من فوق الجبل! ... وصرخ «يوناسيرا» ثم أطلق مسدسه قبل أن يهويَ في الفضاء.

ووقف «عثمان»، و«فهد» يريان ردَّ فعل المسدس الذي انطلق ... وسرعان ما سمِعا صوت صَفَّارات الإنذار تدوِّي في أنحاء القاعدة ... والتمعت في الدهاليز عشرات من الكشافات تدور في كل مكانٍ ... وأخذ كشاف منها يقترب من الصديقين. ولم يتردد «عثمان»، أطلق كرته المطاط على الكشاف فحطَّمه ... وساد الظلام!

في الوقت المناسب

اندفع «عثمان» و«فهد» إلى المكان الذي خرج منه «يوناسيرا» ... أدركا أنه ما دام رجل «المافيا» الأول «كاميني جاتوا» كان يستجوب «رشيد»، فلا بد أن «يوناسيرا بونانو» أو «ب. ب» كان يستجوب «أحمد» ... اندفعا إذن إلى الغرفة التي خرج منها «يوناسيرا» وصَدَقَ ما توقعاه ... كان «أحمد» يجلس على كرسيٍّ من الصُّلْب اللامع، وقد أحاطت بيديه ورجليه السيور الحديدية، وعلى رأسه برزت أسلاكٌ متعددة ... كانوا يحاولون استجوابه تحت تأثير الصدمات الكهربائية. وكان الرجل المسئول عن الكهرباء يقف بجوار لوحة التوزيع ... وسمع خُطُوات «فهد» و«عثمان» وهما يقتربان، فضغط على زر أمامه، وإذا بالباب يُغلَق تدريجيًّا ... ولم يتردد «فهد»، أطلق رصاص مسدسه على اللوحة نفسها فتوقف الباب. ورفع مقبض مسدسه وهوى به على رأس الرجل، بينما كان «عثمان» يحلُّ وثاق «أحمد» ...

كان «أحمد» شبهَ مُغمًى عليه من أثر الصدمات العنيفة التي أُجريت عليه ... فوقف متخاذلَ الساقين بينما عشرات الأقدام تجري هنا وهناك ... كان موقفًا حرجًا، فأمسك كل منهما بإحدى ذراعَيْ «أحمد» واندفعا خارجين.

وفي هذه اللحظة ظهرت مجموعة من الحراس تحمل المدافع الرشاشة ... وكان واضحًا أن مصير الشياطين الثلاثة سيتقرَّر في لحظات ... فإذا أطلق هؤلاء الرجال المدافع الرشاشة فلا شيءَ يمكن أن يوقفَهم ... ولكنهم بدلًا من أن يطلقوها صاحوا بالشياطين الثلاثة يطلبون منهم رفع الأيدي، وامتثل الشياطين للأمر ... رفعوا أيديَهم إلى فوق وأسقطوا مسدساتهم ... كان هذا هو الحل الوحيد للإبقاء على حياتهم، دقائق أو ساعات أخرى ...

قال أحد الحراس: خُذوهم فورًا إلى الدكتور «كلاوسي».

وبدأ الحراس يشدُّونهم إلى مصعد صغير في جانب من الجدار الصخري، وسرعان ما كانوا ينزلون واحدًا واحدًا في المصعد ... ومع كل منهم حارسه ... نزل «أحمد» الذي كان واضح الإعياء أولًا، ثم نزل «فهد»، وبعده نزل «عثمان» ... وبدا الثلاثة سيرهم بين شاشات التليفزيون التي كانت تنقُل مشاهد من العواصم العربية بواسطة القمر الصناعي.

وبعد نحو عشرين مترًا دخلوا إلى قاعة واسعة، وطلب منهم الحراس الجلوس حول مائدة كبيرة، ثم خرج الحراس وتركوهم، ووقف «عثمان» قائلًا: لقد تركونا ويمكن أن ننصرف.

ولكن قبل أن يتحرك خُطوةً واحدة ارتفع صوت من جانب الغرفة يقول: من الأفضل أن تجلس مكانك! ... إن جدران الغرفة كلها فُوَّهات لمدافعَ رشاشةٍ يمكن أن تحصُدَكم في لحظات!

وجلس «عثمان» ... وعاد الصوت يقول: أقدم لكم نفسي ... أنا الدكتور «كلاوسي» مخترع الجاسوس الخارق ... الجاسوس الذي يرى كل شيء في المنطقة العربية، ويسمع كل كلمةٍ تُقال فيها!

وصمت «كلاوسي»، ثم قال: لقد قضينا عشرة أعوام في بناء هذا المشروع الذي يقوم على قاعدةٍ أرضيةٍ مزودة بأجهزة استقبال بالغة الحساسية، وعلى قمر صناعي يدور في الفضاء ويرصد كلَّ شيءٍ في العالم العربي ... وقد نجحنا في الاستماع إلى كل كلمة تُقال بواسطة التليفون أو اللاسلكي. وقد عرفنا بوجود منظمتكم؛ منظمة الشياطين الـ «١٣»!

وضحِكَ «كلاوسي» وقال: وقد دُهشنا عندما استطعتم خِداعنا بواسطة أحد زملائكم ... ولم تكن هذه غلطتنا، بل غلطة رجال «المافيا» الأغبياء!

وساد الصمت لحظات وقال «كلاوسي»: وقد دُهِشْنا أكثر أنْ وجدناكم مجموعةً من الأولاد ... فمن الذي يقودكم؟

لم يردَّ أحد ... فقال «كلاوسي»: من الأفضل لكم أن تتحدثوا، فمن السهل جدًّا حَمْلُكم على الكلام!

ثم صاح «كلاوسي» بضيق: إذا كنتم تعتمدون على أصدقائكم الثلاثة الباقين فقد قبضنا على اثنين منهم ...

وأحسَّ الشياطين الثلاثة أن ماسًا كهربائيًّا باردًا يجتاحهم بعد هذا الخبر ... ولكن في هذه اللحظة حدث ما لم يكن في الحسبان، انطلق انفجارٌ مكتوم من الدور الأسفل، ثم تلاه انفجار ثانٍ، وبدت الغرفة كأنها تميل تدريجيًّا. وصاح «كلاوسي» لا تتحركوا من أماكنكم!

وسمِع الشياطين الثلاثة صوت أقدامٍ تبتعد ... وفي هذه اللحظة ارتفع صوتُ انفجارٍ قويٍّ ... ثم اشتعلت النيران في أنحاء الغرفة ... ولم يتردد الشياطين الثلاثة ... اندفعوا مسرعين من الباب، وأخذوا يجرون ... وقابلوا عددًا من الحراس، كلٌّ منهم يجري في اتجاه ... بينما استمرت الانفجارات تتوالَى ...

وعند حافة الجبل، توقف الشياطين لا يعرفون ماذا يفعلون بعد ذلك ... ولكنهم سمِعوا بجوارهم صوتًا يقول: تعالَوْا من هنا. والتفتوا إلى مصدر الصوت ... كان «باسم» المسئول عن كل هذه التفجيرات يقف على رأسِ سُلَّم، فقال له «عثمان»: ولكن أين الباقون؟ قال «باسم»: لقد أنقذت «رشيد» و«إلهام» وسبقوكم في النزول ...

أسرع الشياطين ينزلون السلم على سفح الجبل. كان طويلًا جدًّا ... ولكنه في النهاية انتهى بهم إلى الأرض. ووقفوا يشهدون القاعدة الأرضية وهي تنفجر وتنفجر، والنيران تشتعل فيها ...

وتنهَّد عثمان طويلًا ثم قال: كيف حدث كل هذا؟

باسم: لقد انفصلتُ عن «إلهام» و«رشيد» وأخذتُ أضعُ المتفجراتِ في كلِّ مكان أقف فيه ... وفي الوقت المناسب فجَّرتُها!

قال «أحمد»: إننا فخورون بك يا «باسم»!

ردَّت «إلهام»: وسيكون رقم «صفر» أكثر فخرًا عندما يسمع بهذا الانتصار العظيم.

هنـــداوي